السياحة
فن.. وذوق.. وأخلاق!

بقلم دريئة : محمود مصطفى

التحرير في السياحة تطور في السنوات الأخيرة تطورا يدعو إلى الدراسة والاهتمام حيث استطاعت دول أن تقفز إلى الصفوف الأولى في هذا المضمار..

ولا شك في أن كل دولة لديها ما تعرضه لجذب السياح إليها سواء كان ما تعرضه هذا آثارا قديمة.. أو فنونا حديثة أو غيره.. إلا أن ما تعرضه الدول يحتاج إلى كثير من الذوق في طريقة العرض بحيث يبدو شائقا جذابا.. ثم يأتي بعد ذلك الجانب الأخلاقي وهو طريقة معاملة السائح الذي جاء ليشتري الفرجة على ذلك الفن المعروض في قالب من الذوق الجمالي..

.. ومن الدول التي قطعت خطوات كبيرة إلى الصفوف الأولى في هذا المجال.. بل إنها الآن من أوائل الدول السياحية.. اليونان..!

.. واليونان لديها الكثير من الآثار الإغريقية يتوجها معبد الأكروبوليس (٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد) الذي يقع في مدينة أثينا نفسها.. وبالرغم من ذلك فإنها تبيع لك الجدوء والجمال.. وذلك في الجزر العديدة المنتشرة بالأراضي اليونانية.. ولذلك كثرت مكاتب السياحة هناك.. بل إنك تكاد تجد في كل فندق مسئولا عن السياحة يقدم لك برامج متعددة لزيارة ذلك الجزر.. والسياحة الداخلية والخارجية وذلك مقابل أجور زهيدة جدا في مقابل السفر والإقامة الكاملة بين هذه الجزر بالعبارات البحرية.. أما إذا حاولت الخروج عن برامج هذه الشركات السياحية أو أردت عمل برنامج خاص بك فسوف يكلفك هذا الكثير.. وأذكر أنني منذ عامين قد ضبعت يوما كاملا بصحبة أحد الأصدقاء لنبحث له عن سرير يقضي فيه ليلة واحدة في جزيرة كورفو وأذكر أننا في آخر النهار وبعد أن كلّت أقدامنا عثرنا له على سرير في عنبر يزخر في الموسم السياحي كفندق وأنه دفع ما يساوي عشرين جنيها مقابل هذا السرير الليلة واحدة حيث غادر اليونان في اليوم التالي مباشرة إلى يوغوسلافيا..

.. وفي أثينا العاصمة يوجد قطاع خاص بالسياحة بأكمله ويعرفه السياح جيدا.. هذا القطاع هو الذي الملقب باسم «بلاكا» والذي يقع في الشمال الشرقي للمعبد الشهير أكروبوليس.. وكان يعرف حتى مطلع هذا القرن باسم «حي كوكو نسبة إلى عائلة «كوكو» التي استقرت هناك أثناء القرن الثالث عشر..

.. وبلاكا ينقسم اليوم إلى ثلاثة أقسام..

القسم الأول يشمل الحي التجاري وبه المحلات التي تبيع الأشياء التذكارية تماما مثل محلات خان الخليلي بالقاهرة.. أما القسم الثاني فيضم المقاهي الليلية ومحلات الشراب والطعام.. وهي متعددة.. ولا أقول متجاورة.. إنما تكاد تكون متلاصقة حتى إنك تستطيع أن تجلس في أحدها لتتناول عشاءك مثلا بينما أنت تشاهد البرنامج الذي يعرضه المقهى المجاور أو المقهى المقابل..؟

.. ثم القسم الثالث الذي ينتهي إلى المعبد ويشعر الزائر وهو في هذا المكان أنه يمشي بين بيوت شديدة الخصوصية والشوارع ضيقة ذات طابع مميز هادئ جدا.. بل إن الناس أنفسهم من طراز مختلف..

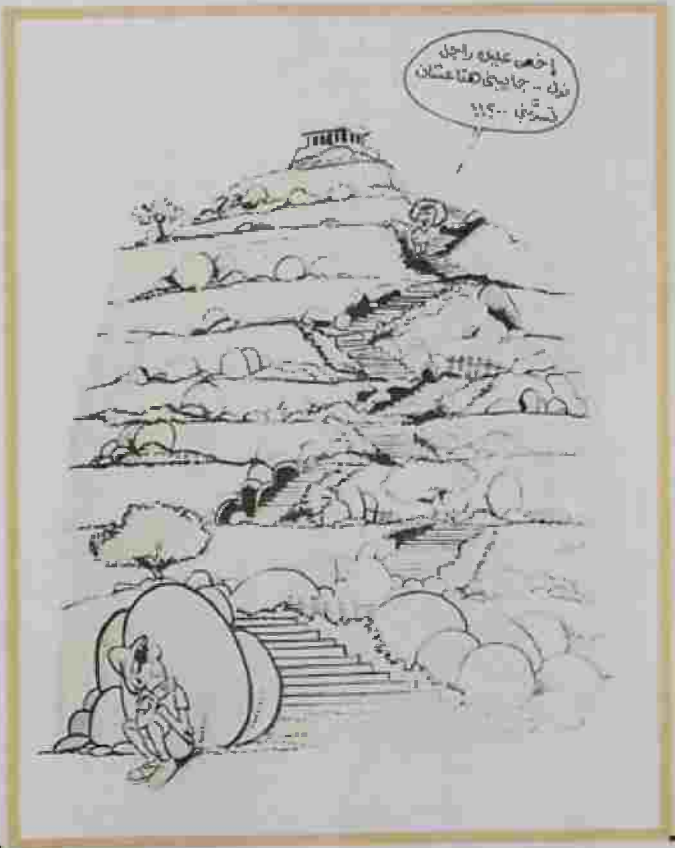

في هذا الحي يقضي السائح أياما وليالي لا ينساها بين الفن والذوق والخدمة اليونانية المشهورة والمشهود لها..

الموت في فينيسيا..

هذا هو اسم التحفة السينمائية التي قدمها لسكونتي والتي قام ببطولتها الممثل الإنجليزي الأصل ديرك بوجارد الذي تفوق فيها على نفسه حتى في دوره الخالد في فيلم الخادم الذي نال عليه الأوسكار.. وفي هذا الفيلم يصور لسكونتي مدينة فينيسيا حين تحتاجها الكوليرا.. وذلك في مطلع هذا القرن حيث تدور أحداث الفيلم بين أزقة وحواري المدينة القديمة وفوق كباريها الصغيرة التي لم تتغير حتى الآن..

وقد رفع الإيطاليون الآن شعارا مشابها لاسم الفيلم من باب الدعاية السياحية.. هذا الشعار هو.. أنقذوا فينيسيا من الغرق..!

فما هي الحكاية..؟ إنهم يقولون إن الحسابات الإلكترونية أثبتت أن المدينة الجميلة تغرق كل عام بمقدار عدد معين من السنتيمترات وأنه في خلال أعوام ستصبح المدينة أثرا بعد عين..!

وبالطبع صدق أغنياء العالم من هواة السياحة هذه الحدوتة وتدفق على فينيسيا عدد رهيب من السياح.. وغرقت المدينة فعلا.. ولكن بأموال هؤلاء السياح وأصبح العثور على مكان للقضاء الليل أو غرفة في فندق مثل العثور على إبرة في كومة من القش وجلس السياح بالمئات في الشوارع بلا مأوى وأمام محطة السكة الحديدية بأمتعتهم ليلقوا نظرة وداع على المدينة التي ضيعتهم قبل أن تضيع..!

ويبدو أن إيطاليا أصبحت اليوم من أكثر الدول الأوربية ارتفاعا في الأسعار فقدت بذلك ميزة كبيرى كدولة سياحية هذا بالإضافة إلى ما يتنابها من قلق واضطراب سياسي مع ظاهرة كثرة العصابات الكبيرة والصغيرة على السواء ابتداء من المافيا والألوية الحمراء.. ونزولا إلى نشالي نابولي وسوق الحرامية بجنوه كما أن روما أصلا ليست مدينة سياحية وميلانو مدينة صناعة تجارية ولا تهم إلا رجال الصناعة والتجارة.. أما فلورنسا فتجذب نوعا معينا من السياح الذين يهمهم أن يشاهدوا أعمال مايكل أنجلو في الكنيسة السيستينية ولذلك فلم يبق إلا فينيسيا المدينة ذات الطابع الفريد في العالم كله فكان النداء من أجل إنقاذها ذلك النداء الذي اخترعته شركات السياحة والإعلام السياحي بالتأكيد.. وإن كان أمره سينتهي يوما ما.. ولابد للإيطاليين أن يجدوا بدائل من أجل اللحاق بالصراع السياحي العالمي الذي قفزوا فيه خطوات إلى الخلف.. بينما تقدمت عليهم اليونان بخطوات كثيرة إلى الأمام لتسابق أسبانيا وغيرها من الدول السياحية الأخرى.